على طريق دمشق

الأب نجيب ابراهيم الفرنسيسكاني

تمّ الحدث الأعظم في حياة بولس، فصار خلقاً جديداً! رأى الرّبّ على طريق دمشق وسمع صوته وقبل منه الرسالة. يذكر لوقا هذا الحدث ثلاث مرات في سفر أعمال الرسل، ليعبّر بذلك عن أهمّ تدخّلات يسوع القائم من بين الأموات بعد الصعود، ليصبح الحدث حلقة أساسية في تاريخ الكنيسة الأولى، لا بل في تاريخ الخلاص. تأتي الرواية ضمن مخطط الله الخلاصي لنشر الإنجيل. في اعمال الرسل كما في رسائل بولس، يأتي الخبر بعلاقته مع الإنجيل. تراءى يسوع لبولس وأوكل إليه الرسالة. يتراءى القائم من الموت ليوكل الرسالة إلى رسله وها هو يتراءى آخر الأمر إلى بولس ليجعل منه رسول الأمم.

صار الحدث عيداً في الكنيسة، إذ نحتفل بعيد «اهتداء القدّيس بولس» في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني. ما يؤكّد أنّ دعوة بولس هي حلقة مهمة في تاريخ الخلاص. تغيّر هو، فغيّر التاريخ!

من الجدير بالذكر أنّ ذكرى بولس واسعة في العهد الجديد، ولم يكن لغيره من الرسل هذا الكمّ من النصوص. أما عن اهتدائه ودعوته فيخبرنا بولس نفسه في رسائله ولوقا الإنجيليّ في اعمال الرسل.

على طريق دمشق:
شاوُل ، شاوُل، لِماذا تَضطَهِدُني؟

لماذا ذهب بولس إلى دمشق؟

يقول لوقا في اعمال الرسل ٩: ١ – ٢: «أَمَّا شاول ما زالَ صَدرُه يَنفُثُ تَهديدًا وتَقتيلاً لِتَلاميذِ الرَّبّ. فقَصَدَ إِلى عَظيمِ الكَهَنَة، وطَلَبَ منه رَسائِلَ إِلى مَجامعِ دِمَشق، حتَّى إِذا وَجَدَ أُناسًا على هذه الطَّريقَة، رِجالاً ونساء، ساقَهم موثَقينَ إِلى أُورَشَليم».

كان شاول موافقاً على قتل اسطفانس وراح يضطهد الكنيسة، يدخل البيوت ويجرّ الرجال والنساء ويلقيهم في السجن. تشتّت المسيحيون وكان الاضطهاد مدخلاً لانتشار

الإنجيل، كالصليب والموت مع المسيح قبل القيامة. فبشّر فيليبّس مدينة السامرة. ولكن شاول أراد وضع حدّ لانتشار الإنجيل فطلب توكيلاً رسمياً للقيام بالمهمة. وها هو يشدّ الرحال إلى دمشق سعياً لتنفيذ مآربه.

كان السفر من القدس الى دمشق يدوم نحو اسبوع والمسافة بين المدينتين تصل الى ٢١٠ أو ٢٥٠ كلم نسبة للطريق التي كان يسلكها المسافرون. لا يهتمّ كاتب اعمال الرسل بتحديد مسار الرحلة، بل بالتأكيد على أنّ الحدث قد تمّ قبيل وصول بولس إلى دمشق: «وبينما هو سائر، وقد اقترب من دمشق، إذا نور من السماء قد سطع حوله» (٩ : ٣).

عندما يصل المرء إلى دمشق عابراً الصحراء الشرقية، أي بادية الشام، تظهر دمشق وكأنّها «جوهرة البريّة»، واحة غنّاء، يرويها نهر بردى الذي ينقسم في «الغوطة»، أي سهل دمشق. يذكر نعمان السوريّ الذي أبرأه النبي أليشاع نهري دمشق «أبانة وفرفر» (٢ملوك ٥ : ١٢). وتمتدّ المدينة على هضبة ترتفع حوالي ٦٠٠ م عن سطح البحر، يحدّها من الغرب السلسلة الشرقية لجبال لبنان وتبعد شرقاً حوالي ١٠٠ كلم عن البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال جبل قصيون، من الشرق والجنوب بادية الشام.

في عهد ملوك إسرائيل كانت دمشق عاصمة مملكة آرام ومن ثم وقعت تحت احتلال الآشوريين والبابليين والفرس واليونان والرومان. عندما أتى بولس إلى دمشق كان يحكمها الحارث الرابع، ملك الانباط (راجع ٢قورنتس ١١ : ٣٢).

شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟

هذا ما سمعه بولس عندما سقط على الأرض، وقد سطع نور من السماء حوله:

« وبَينَما هو سائِرٌ ، وقَد اقتَرَبَ من دِمَشق، إذا نورٌ منَ السَّماءِ قد سَطَعَ حولَه، فسَقَطَ إلى الأَرض، وسَمِعَ صَوتًا يَقولُ له: شاوُل ، شاوُل، لماذا تَضطَهِدُني؟ فقال: مَن أنتَ يا ربّ؟ قالَ: أَنا يسوعُ الَّذي أَنتَ تَضطَهِدُه. ولكن قُمْ فادخُلِ المَدينة، فيُقالَ لَكَ ما يَجِبُ علَيكَ أَن تَفعَل. وأَمَّا رُفَقاؤُه فوَقَفوا مَبْهوتينَ يَسمَعونَ الصَّوتَ ولَا يَرَونَ أَحَدًا. فنَهَضَ شاوُلُ عنِ الأَرض وهُوَ لا يُبصِرُ شَيئًا، مع أَنَّ عَينَيه كانَتا مُنفَتِحَتَين . فاقتادوه بِيَدِه ودَخَلوا به دِمَشق. فَلَبِثَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مَكْفوفَ البَصَر لا يأكُلُ ولا يَشرَب» (اعمال ٩ : ٣ – ٩).

سقط بولس على الأرض وبسقوطه انقلبت حياته. فالنور السماوي هو علامة لظهور إلهيّ. ولا يسع الإنسان أمام الحضور الإلهي سوى السجود، كما يعبّر عن ذلك حزقيال برؤيته للربِ في أرض الكلدانيين، قرب نهر كبار: «فَنَظَرتُ وسَقَطتُ على وَجْهي وسَمِعتُ صَوتَ مُتَكَلِّم» (١ : ٢٨). ولكن ما جرى مع بولس هو سقوط لمشاريعه ضد الإنجيل، فكان الانقلاب الكبير في حياته.

جاء بولس إلى دمشق مع قافلة، مما يعني أنّ أشخاصاً عديدين كانوا برفقته. ولكن بولس وحده سمع صوت الرب، بينما رفقاؤه كانوا هناك شهوداً للحدث والرسالة لم تكن موجّهة إليهم. بالنور تراءى له الرّبّ وناداه باسمه العبراني: «شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟».

ناداه الرب مرتين باسمه، فكان ذلك مقاربة لحوار الوحي في تاريخ الخلاص، كما جرى مع ابراهيم ويعقوب وموسى: «فناداه اللهُ مِن وَسَطِ العُلَّيقَةِ وقال: «موسى موسى» (خروج ٣: ٤ وراجع تكوين ٢٢: ١ و٤٦: ٢).

على طريق دمشق:
كنيسة ذكرى اهتداء القديس بولس
«أَنا يسوعُ الَّذي أَنتَ تَضطَهِدُه»

«لماذا تضطهدني؟» قال الصوت كاشفاً عن ذاته بشخص تلاميذه الذين كان بولس يضطهدهم. هنا سأل بولس: «من أنت يا رب؟» فكان جواب يسوع كاشفاً عن ذاته: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده». فاللقاء مع الرب كشف عميق للذات. وصل نور الرب إلى أعماق بولس فعرف ذاته وخطورة أعماله. ففي معرفة الرب معرفة للذات.

عرّف يسوع عن نفسه من خلال تلاميذه المضطهدين، وفي هذا التعريف قاعدة لما سوف يعبّر عنه بولس في رسائله عن حقيقة الكنيسة، جسد المسيح. اضطهد بولس يسوع بشخص تلاميذه. ولكن يسوع هو الرّبّ وسيّد التاريخ الذي أرسل تلاميذه ليكونوا شهوداً له حتى أقاصي الأرض (اعمال ١: ٨). لن يكون باستطاعة بولس أن «يرفس المهماز» (اعمال ٢٦: ١٤). لذلك عليه قبول كلمة الرب الذي أمره أن يدخل المدينة حيث يُكمل يسوع دعوته له من خلال حنانيا، أحد التلاميذ.

نهض شاول عن الأرض وهو لا يبصر. فالنور بهره وكان عليه البقاء بظلمة الانتظار في تواضع التوبة والسجود أمام السرّ الذي راح ينكشف أمامه بنعمة لا يستحقّها: «فلبث ثلاثة أيّام مكفوف البصر لا يأكل ولا يشرب» (أعمال ٩: ٩). ثلاثة أيّام انتظر وكأنّه قُبر مع المسيح ليقوم معه في المعمودية.

الإناء المختار

هذا ما قاله يسوع عن بولس في رؤيا لحنانيا، المسيحي من أصول يهودية. كما تراءى

لبولس، تراءى يسوع لحنانيا وأرسله إلى بولس ليبصر وينال الروح القدس والمعمودية. برؤيتين سوف يتناول لوقا رواية اهتداء قرنليوس واعتماده على يد بطرس الرسول، ليعبّر بذلك عن مثل الاهتداء في الكنيسة. يبادر الله بدعوة الإنسان ومن ثمّ يأتي دور الكنيسة المبشّرة بالإنجيل، فيقبل الإنسان كلمة الله بالإيمان وينال نعمة الروح القدس والمعمودية. ويتمّ الدخول في الكنيسة بوليمة أخويّة، يمكن أن تكون إفخارستيا.

في رؤيا يرسل الرّبّ حنانيا إلى بولس ليقبله في الجماعة المسيحية، قائلاً له: «قُمْ فاذهَبْ إلى الزُّقاقِ المَعروفِ بالزُّقاقِ المُستَقيم، واسأَلْ في بَيتِ يَهوذا عن شاوُلَ المُسَمَّى الطَّرسُوسيّ. فها هُوَذا يُصَلِّي، وقَد رأَى في رُؤياهُ رَجُلاً اسمُه حَنَنْيا يَدخُلُ ويَضَعُ يَدَيه علَيه لِيُبصِر» (٩: ١١ – ١٢).

يكشف الرّب عن وضع بولس، الذي يدعوه الرّبّ باسمه العبرانيّ «شاول الطرسوسيّ». إنّه يصليّ وقد رأى حنانيا في رؤية، استعداداً لقبول المعمودية على يده. ولكن حنانيا يعرف هويّة هذا الانسان وطبيعة مهمّته التي جاء من أجلها إلى دمشق، فعبّر عن ارتباكه للرّبّ يسوع. فكان اعتراض حنانيا فرصة للتنويه عن الانقلاب الكبير الّذي تمّ في حياة بولس وعن الرسالة الفريدة التي سوف يقوم بها:

«فقالَ له الرَّبّ: اذهَبْ فهذا الرَّجُلُ أَداةٌ اختَرتُها لكي يَكونَ مَسؤولاً عن اسْمي عِندَ الوَثَنِيِّين والمُلوكِ وبَني إِسرائيل، فإِنِّي سأُريه ما يَجِبُ علَيه أَن يُعانِيَ مِنَ الأَلَمِ في سَبيلِ اسْمي» (٩: ١٥ – ١٦).

جاء إلى دمشق ليضطهد الإسم والطريقة، فصار حاملاً للاسم ومسؤولاً عن التبشير به بالآلام.

راح حنانيا إلى بولس ووضع يديه عليه وقال له: «يا أَخي شاوُل، إِنَّ الرَّبَّ أَرسَلَني، وهو يسوعُ الَّذي تراءَى لَكَ في الطَّريقِ الَّتي قَدِمتَ مِنها، أَرسَلَني لِتُبصِرَ وتَمتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ القُدُس» (٩: ١٧).

بهذا يُقبل شاول أخاً في الجماعة، أي مؤمناً. وفي نفس الوقت اتّضحت بشكل تامّ هويّة ذلك الذي تراءى له على الطريق: إنّه الرّبّ يسوع، الذي أوكل إلى حنانيا مهمة وضع اليد على رأسه. فكان بذلك شفاء الروح والجسد، إذ قبل الروح القدس وأبصر. وبالمعمودية أنهى صومه لتعود إليه قواه.

ستكون شاهداً له

هذا ما قاله حنانيا لشاول حسب الرواية الثانية لاهتداء رسول الأمم. يرجع لوقا إلى هذا الحدث الجلل في خطبة بولس أمام أهل أورشليم (اعمال ٢٢)، حيث نجد نفس الرواية

في دمشق: مغارة حنانيا
يا أَخي شاوُل، إِنَّ الرَّبَّ أَرسَلَني، وهو يسوعُ

مع بعض الاختلافات، ذلك أنّ المستمعين كانوا من اليهود. يقول بولس أنّ حنانيا «رَجُلٌ تَقِيٌّ مُحافِظٌ على الشَّريعَة، يَشهَدُ له جَميعُ اليَهود المُقيمينَ هُناك» (٢٢ : ١٢). يسلّم حنانيا على بولس قائلاً له: «يا أخي شاول، أبصر». ويبشّره بالرسالة قائلاً له:

«إِنَّ إِلهَ آبائنا قد أَعَدَّكَ لِنَفسه لِتَعرِفَ مَشيئَتَه وتَرى البارَّ وتَسمع صَوتَه بِنَفسه. فَإِنَّكَ ستَكونُ شاهِدًا له أَمامَ جَميعِ النَّاسِ بِما رأَيتَ وسَمِعت. فما لَكَ تَتَرَدَّدُ بَعدَ ذلِكَ؟ قُمْ فاعتَمِدْ وتَطَهَّرْ مِن خَطاياكَ داعِيًا بِاسمِه» (٢٢ : ١٣ – ١٦).

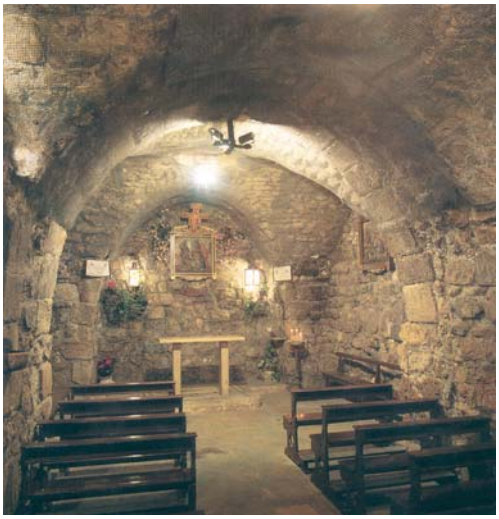

ما يميّز هذه الرواية صفة «الشاهد»، لأنّ الرسول هو الّذي يشهد للقائم من بين الأموات.

ومن ثمّ يعد بولس بمعرفة أعمق للمسيح، ذلك أنّه سوف يرى البار ويسمع صوته بنفسه. هذا ما سوف يتمّ لاحقاً حسب الخبر التالي. كان بولس يصلّي في هيكل أورشليم، فأصابه جذب ورأى الرّبّ الّذي قال له: «أَسرِعْ فَاخرُجْ على عَجَلٍ من أُورَشَليم، لأَنَّهم لن يَقبَلوا شَهادَتَكَ لي». أجابه بولس: «يا رَبّ، هم يَعلَمونَ أَنِّي كُنتُ في كُلِّ مَجمعَ أَسجُنُ المُؤمنينَ بِكَ، وأَضرِبُهم بالعِصِيّ، وأَنِّي كُنتُ حاضِرًا حينَ سُفِكَ دَمُ شَهيدِكَ إِسطِفانُس، وكُنتُ مُوافِقًا على قَتلِه، مُحافِظًا على ثِيابِ قاتليه». هنا يسلّم الرّبّ يسوع الرسالة إلى بولس قائلاً له:

«اِذهَبْ، إِنِّي مُرسِلُكَ إِلى بِلادٍ بعيدة، إِلى الوَثَنِيِّين» (اعمال ٢٢ : ٢١).

وللمرة الثالثة

يروي لوقا واقعة الاهتداء في معرض دفاع بولس عن نفسه أمام فسطس، حاكم اليهودية، والملك أغريبّا في قيصرية البحر. والجديد في هذه الرواية الثالثة هو عدم ذكر حنانيا. هنا يقبل بولس مباشرة من الرّبّ يسوع رسالته. قال يسوع لبولس:

«أَنا يسوعُ الَّذي أَنتَ تَضطَهِدُه. فانهَضْ وقُمْ على قَدَمَيكَ. فإِنَّما ظَهَرتُ لَكَ لأَجعَلَ منكَ خادِمًا وشاهِدًا لِهذِه الرُّؤْيا الَّتي رَأَيتَني فيها، ولِغَيرِها مِنَ الرُّؤى الَّتي سأَظهَرُ لكَ فيها. سأُنقِذُكَ مِنَ الشَّعبِ ومِنَ الوَثَنِيِّينَ الَّذينَ أرسِلُكَ إِلَيهِم، لِتَفتَحَ عُيونَهم فيَرجِعوا مِنَ الظَّلامِ إِلى النُّور، ومِن سُلطانِ الشَّيطانِ إِلى الله، ويَنالوا بِالإِيمانِ بي غُفْرانَ الخَطايا ونَصيبَهم مِنَ الميراثِ في

عِدادِ المُقَدَّسين» (اعمال ٢٦ : ١٥ – ١٨).

هدف الحدث هو دعوة بولس إلى الرسالة. بهذه الرؤيا يصبح بولس رسولاً لكل الناس، وبنوع خاص للوثنيين. يقول يسوع بوضوح أنّه ظهر لبولس ليجعل منه «خادماً وشاهداً» له.

في دمشق الرواية، في أورشليم وفي القيصرية سيرة ذاتية على لسان بولس، ولكن الراوي هو لوقا، واضع سفر أعمال الرسل، ليرسم بذلك حلقة أساسيّة في تاريخ الكنيسة وقصّة انتشار البشرى السّارة إلى أقاصي الأرض.

تناول بولس موضوع دعوته في رسائله. ولكنّه لم يتطرّق للموضوع بشكل مباشر، بل في معرض دفاعه عن الإنجيل الّذي بشّر به.

في الرسالة إلى أهل غلاطية

«مِن بولُس وهو رَسول، لا مِن قِبَلِ النَّاس ولا بِمَشيئَةِ إِنسان، بل بِمَشيئَةِ يسوعَ المسيح واللهِ الآبِ الّذي أَقامَه مِن بَينِ الأَموات» (غل ١ : ١).

هكذا يبدأ بولس رسالته وفيها ما فيها من تأكيد على دعوته الرسولية التي لم تأتِ من الناس بل بمشيئة الله. في هذه الرسالة، يدافع بولس عن الإنجيل الّذي بشّر به، انطلاقاً من دعوته الرسولية، مشدّداً على المصدر الإلهي لدعوته وللإنجيل. لدينا في هذه الآية تفصيلاً لما يقوله عادة الرسول في سائر رسائله:

– «مِن بولُسَ عَبْدِ المسيحِ يسوع دُعِيَ لِيَكونَ رَسولاً وأُفرِدَ لِيُعلِنَ بِشارةَ الله» (روما ١ : ١).

– «مِن بولُسَ الَّذي شاءَ اللهُ أَن يَدعُوَه لِيَكونَ، رَسولَ المسيحِ يسوعَ» (١قورنتس ١ : ١).

يعرّف كاتب الرسالة ذاته بصفة «المدعو رسول»، أي إنّ الله دعاه جاعلاً منه رسولاً ليسوع المسيح ليعلن الإنجيل. في الرسالة إلى أهل غلاطية يتناول بولس هذا الموضوع بإسهاب، لأنّ المؤمنين في غلاطية كانوا في خطر الابتعاد عن الإنجيل بحسب بشارة بولس: «عَجِبتُ لِسُرعَةِ ارتدادكم هذا عن الَّذي دَعاكم بِنعمَةِ المسيح إِلى بِشارةٍ أُخْرى: وما هي بِشارةٌ أُخْرى، بل هُناكَ قَومٌ يُلقُونَ البَلبَلَةَ بَينَكم، وبُغيَتُهم أَن يُبَدِّلوا بِشارةَ المسيح. فلَو بَشَّرْناكم نَحنُ أَو بَشَّرَكم مَلاكٌ مِنَ السَّماءِ بِخلافِ مما بَشَّرْناكم به، فلْيَكُنْ مَحْرومًا! قُلْنا لَكم قَبْلاً وأَقولُه اليَومَ أيضًا: إِن بَشَّرَكم أَحدٌ بِخلافِ مما تَلَقَّيتُموه، فلْيَكُنْ مَحْرومًا! أَفتُراني الآنَ أَستَعطِفُ النَّاسَ أَم اللهَ؟ هل أَتوَخَّى رِضا النَّاس؟ لَو كُنتُ إِلى اليَومِ أَتوَخَّى رِضا النَّاس، لَما كُنتُ عَبْدًا لِلمسيح» (غل ١ : ٦ – ١٠).

من الواضح أنّ بولس يريد التّأكيد على أنّ الإنجيل واحد وهو الّذي بشّر به أهل غلاطية، والبرهان على ذلك أنّه رسول بدعوة إلهيه والإنجيل الّذي يبشّر به هو وحي إلهي: «فأُعلِمُكم، أَيُّها الإِخوَة، بِأَنَّ البِشارةَ الَّتي بَشَّرتُ بِها لَيسَت على سُنَّةِ البَشَر، لأَنِّي ما تَلَقَّيتُها ولا أَخَذتُها

عن إنسان، بل بوَحْي مِن يسوعَ المسيح» (غل ١ : ١١ – ١٢).
في هذا السياق يستذكر بولس سيرته الذاتية قبل الاهتداء (غل ١ : ١٣ – ١٤)، فبادر الله بدعوته: «ولكن لمَّا حَسُنَ لدى الله الَّذي أفرَدَني، مُذ كُنتُ في بَطْن أُمِّي، ودَعاني بنعمَته، أَن يَكشفَ لِيَ ابنَه لأُبَشِّرَ به بَينَ الوَثَنيَّين، لم أَستَشِرِ اللَّحْمَ والدَّم ولَا صَعدتُ إلى أُورَشليم قاصدًا مَن هم رُسُلٌ قَبْلي، بل ذَهَبتُ مِن ساعَتي إلى دِيارِ العَرَب، ثُمَّ عُدتُ إِلى دِمَشْق» (١ : ١٣ – ١٧).
كتب بولس هذه الرسالة بعد مضي أكثر من عشرين سنة على دعوته، استطاع خلالها أن يتأمّل في هذا الحدث العظيم الذي تمّ بنعمة مجانية من الرّبّ، فوجد في التقليد البيبلي الصيَغ المناسبة للتعبير عنه. فالجملة الأولى تذكّر بدعوة «عبد الرب» حسب اشعيا: «إِنَّ الرَّبَّ دَعَاني مِنَ البَطْن وذَكَرَ آسْمي مِن أَحْشاءِ أُمِّي» (٤٩ : ١). كما يرجع هذا الاسلوب للتعبير عن الدعوة إلى النبيّ إرميا الّذي يؤكّد أنّ الله وجّه إليه الكلام قائلاً: «قَبلَ أَن أُصَوِّرَكَ في البَطنِ عَرَفتُكَ وقَبلَ أن تَخرُجَ مِنَ الرَّحم قَدَّستُكَ وجَعلتُكَ نَبيّاً للأُمَم» (إرميا ١ : ٥).
وما يميّز صيغة بولس زيادة كلمة «نعمة»، إذ قال: «دعاني بنعمته»، مشدّداً على مجّانية الله المطلقة في هذه الدعوة. لم يكن باستطاعة أحد توقّع ما جرى على طريق دمشق! لذلك اختبر بولس عمق محبّة الله له في مجّانية نعمة الدعوة.
أمّا هدف مبادرة الله المجّانيّة بدعوة بولس هو وحي يتعلّق بالإنجيل. حَسُنَ لدى الله أن «يكشف» لبولس عن ابنه ليبشّر به الوثنيين، والكشف وحي إلهي. من الواضح أنّ موضوع البشارة للوثنيين هو يسوع المسيح ابن الله، أي إنّ الإنجيل الّذي بشّر به بولس أهل غلاطية ليس سوى «إنجيل يسوع المسيح» وهذا يأتي بنعمة مجّانية من الله.
يتكلّم بولس عن إنجيل الخلاص في الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس، وذلك في سياق التذكير بقيامة المسيح، أساس الايمان بقيامة الاموات. بدعوته أصبح بولس شاهداً للقيامة.

«رأيت الرّبّ يسوع»

في الفصل التاسع من الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس، يربط بولس بين دعوته الرسولية ورؤية الرّبّ: «أَلَستُ حُرًّا؟ أَلَستُ رَسولاً؟ أَوَ ما رَأَيتُ يسوعَ رَبَّنا؟ أَلَستُم صَنيعَتي في الرَّبّ؟وإن لم أَكُنْ رَسولاً عِندَ غَيرِكُم، فأنا رَسولٌ عِندَكُم لأَنَّ خاتَمَ رِسالَتي هو أَنتُم، في الرَّبِّ» (٩ : ١). صار رسولاً لأنّه رأى الرّبّ.
وفي الفصل الخامس عشر من الرسالة يذكّر بالإنجيل الّذي بشّر به أهل قورنتس، ومضمونه الأساسيّ موت يسوع من أجل غفران الخطايا وقيامته من بين الأموات. تسلّم بولس هذا الإنجيل، فسلّمه لأهل قورنتس، معبّراً بذلك عن التقليد الرسوليّ، المبنيّ على إيمان الرسل،

شهود القيامة: «وأنَّه تَراءَى لِصَخْر فالاْثَني عَشَر، ثُمَّ تَراءَى لأَكثَرَ من خَمْسمائَة أَخ معًا لا يَزالُ مُعظَمُهُم حَيّاً وبَعضُهُم ماتوا، ثُمَّ تَراءَى لِيَعْقوب، ثُمَّ لِجَميع الرُّسُل، حتَّى تَراءَى آخِرَ الأَمرِ لي أَيضًا أَنا السِّقْط». (١٥: ٥ – ٨). «أنا السقط» يقول بولس مشدّداً بذلك على نعمة الله المجّانية. يشعر بولس بعدم استحقاقه دعوة الله، لأنّه اضطهد كنيسة الله. ولكنّه يعرف جيّداً أنّ الرّبّ بادر فقبض عليه ليكون شاهداً لقيامته.

«فقد قبض عليّ يسوع المسيح»

هذا ما قاله بولس في رسالته إلى أهل فيليبي، واصفاً لقاءه الأول مع الرّبّ يسوع. يذكر الحدث في دفاعه عن الإنجيل ضدّ بعض المسيحيين من أصل يهودي ما زالوا على اعتقادهم بدور الشريعة من أجل البرّ. يذكّر بولس قارئيه بأنّه من حقّه الاعتماد على الأمور البشرية، ولكنّه لا يفعل قائلاً: «إلاّ أَنَّ ما كانَ في كُلِّ ذلكَ مِن رِبْح لي عَدَدتُه خُسْرانًا مِن أَجلِ المسيح، بل أَعُدُّ كُلَّ شَيءٍ خُسْرانًا من أَجْلِ المَعرِفَة السَّامية، مَعرِفَة يسوعَ المسيح رَبِّي. مِن أَجْلِه خَسِرتُ كُلَّ شَيء وعدَدتُ كُلَّ شَيءٍ نُفَايَة لأَربَحَ المسيحَ» (٣: ٧ – ٩).

يصف بولس دعوته على طريق دمشق بدون ذكر المكان ولا الزمان، بل يلجأ إلى عبارات قوية تعبّر عن تغيير جذريّ حصل في حياته، تغيير ما كان ليحصل لولا القوة الإلهية التي وضعت المسيح في مركز حياته مكان الشريعة، تغيير يستحقّ وصفه بالخلق الجديد.

«فإذا كان أحد في المسيح، فإنّه خلق جديد»

في الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس يدافع بولس عن دعوته الرسولية ضدّ أولئك الذين يعتمدون على موسى والشريعة مقياساً للسلطة. فيقول أنّ النور الذي سطع على وجه موسى، رغم أنّه زائل، يبقى محجوباً على بني إسرائيل. أمّا من يهتدي إلى المسيح ويؤمن بقيامته يشاهد مجد الله ويتحوّل بدوره إلى صورة المسيح بواسطة الروح القدس (٣: ١٢ – ١٨).

يصف بولس هذا التحوّل إلى الرب بعبارات الخلق: «فلَسْنا نَدْعو إلى أَنْفُسنا، بل إلى يسوعَ المسيح الرَّبّ. وما نَحنُ إلاَّ خَدَمٌ لَكم من أَجْلِ يسوع. فإِنَّ اللّه الَّذي قال: لِيُشرِقْ مِنَ الظُّلمَةِ نُور هَو الَّذي أَشرَقَ في قُلوبنا لِيَشُعَّ نورُ مَعرِفَةِ مَجْدِ اللهَ، ذلِكَ المَجْدِ الَّذي على وَجْهِ المسيح» (٢قورنتس ٤: ٥).

على طريق دمشق، أشرق الله في قلب بولس فأشعّ نور معرفة المسيح في حياته وكأنّه خلق جديد يقارب ما فعله الخالق عندما برأ الخليقة بكلمته. لذلك باستطاعة بولس أن يقول: «فإذا كانَ أَحَدٌ في المسيح، فإنَّه خَلْقٌ جَديد. قد زالتِ الأَشياءُ القَديمة وها قد جاءَت أشياءُ جَديدة» (٢قورنتس ٥: ١٧؛ راجع ايضاً غلاطية ٦: ١٥).